المبحث الثانى

قصة موسى

شاء الله أن يكون اثنان من أنبياء الله من بنى إسرائيل معروفين فى الإسلام والمسيحية واليهودية، هما يوسف وموسى بالاضافة إلى داود وسليمان. الذى يجمع بين يوسف وموسى كثير متميز نحسب خمسة منها على الأقل، أما الذى يجمع بين داود وسليمان فهو أن الأول والد الثانى وقد وهبه الله الحكمة وفصل الخطاب وكانت دعوته إلى قومه من بنى إسرائيل ثم أسلمت بلقيس مع سليمان فصار اليمن مسرحا للدعوة الجديدة وكل ذلك من آثار موسى.

ذلك أن الأقدم هو يوسف بن النبى يعقوب من سلالة إبراهيم وشاء الله ليوسف أن يولد فى فلسطين وأن يتربى فى مصر وأن يلمع فيها ويصبح مصرف ميزانيتها وزراعتها وتجارتها فهو وزير الاقتصاد بكل فروعه والذى جنب مصر المجاعة بحسن ترتيبه وتدبيره. وكان يوسف سببا فى استقدام بنى إسرائيل وغيرهم إلى مصر للتجارة أولا ثم الإقامة، ولذلك أسس لبنى إسرائيل فى مصر. أما موسى فقد ولد فى مصر من الأقلية من بنى إسرائيل وتربى وبعث فيها إلى بنى إسرائيل وفرعون مصر. معنى ذلك أن بنى إسرائيل هم أول قوم يؤمنون برسالات السماء بينما كذبت أقوام "فكيف كان عذابى ونذر" بنص القرآن، "فكيف كان نكير". وبنو إسرائيل هم أكثر من نزلت فيهم الرسالات وبعث منهم الأنبياء والرسل فهاهم أربعة من الكبار يبعثون فيهم، ولكن القرآن يخبرنا أنهم أيضا أشد الأقوام ضلالا وعتوا وتعنتا بل هم من انفرد بقتل أنبياء

الله (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم فريقا كذبتم وفريقا تقتلون) كما أخبرنا القرآن الكريم عن تحريف رجال الدين فيهم للكتب المقدسة وزعمهم أنها من عند الله، وهم يعلمون ويدركون تدرج الرسالات ويعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم. ثم أن بنى إسرائيل هم من نزل فيهم موسى وعيسى باثنتين من الرسالات السماوية الثلاثة، فهموا بقتل عيسى وصلبه مما صور للمعاصرين ذلك لولا أن القرأن أخبرنا أن الله أنقذه منهم ورفعه إليه،ولابد أنه أماته ثم رفعه فلايغادر الانسان هذه الدنيا الا بالموت وهو مؤكد بالتصوص القرآنية ، فهذه لا يجوز أن تكون قضية للخلاف بيننا أو بين المسلمين والمسحيين، فالعلم بها لاينفع والجهل بها لايضر مادام المسحيون يبنون عقيدتهم على أن المسيح صلب وأن آلامه فدية لآلام البشر، أو أن المسيح رفع إلى الله حيا قبل أن يميته الله. سواء طبقنا القاعدة العامة فى أن كل مولود ميت ولا فكاك، أو استثني عيسي باعتباره استثناءا على طريقة الخلق، فلا ضير أن يكون استثناءا فى قضية الموت.

وإذا كان عيسي قد قال بنص القرآن لبنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم، فيرجح من الوارد أيضا أنه من بنى إسرائيل، لكن الوارد أيضا أن يكون من بنى إسرائيل وأنه بعث إليهم، فإن كان من بنى إسرائيل فلما تحرشوا به وعادوه ولا يعدونه منهم ولم يؤمنوا بدعوته، أما إن كان من بنى إسرائيل، فمعنى ذلك أن بنى إسرائيل لم يعطوا رسالة موسى ما يستحقه وأنهم حرفوا التوراه لما عرفناه يقينا فى القرآن الكريم. وعلى أية حال، لا يعد من صلب العقيدة نسب عيسى، من عرب فلسطين أم من بنى إسرائيل وكلاهما يحتمل الجدل.

الوقفة القانونية الأولى هى أن موسى من أبناء الجالية الإسرائيلية التى وفدت إلى مصر منذ مئات السنين فى عصر يوسف. وإذا كان القرآن أخبرنا

أن فرعون كان يسوؤهم سوء العذاب ولا نعلم كيف عاملهم المصريون، كما لا نعلم هل المصريون عاملوهم هكذا منذ استقدمهم يوسف أم أنهم أساءوا إلى الحاكم فعاملهم بقسوة تليق بأعمالهم. ولابد أن قسوته فاقت الحد لدرجة أن الله جلت قدرته أراد أن يخرج من أصلا بهم من يواجه فرعون بالإله الحق ويسفه أساس شرعية حكمه باداء الألوهية، ومع ذلك لم يقل لنا التاريخ ما أثر دعوة موسى على المصريين خاصة بعد فرعون، وهل انقلب المصريون عليهم بعد غرق زعيمهم فى اليم عندما كان يلاحق ويطارد موسى، أم اتعظوا وهل استمر الملك الإله فى مصر بعد غرق الفرعون، علما بأن الظاهر أن المصريين اعتبروا دعوة موسى وإقامته بينهم، وعذاب الله لهم نقمة عليهم وتحسروا على أيام حاكمهم الإله الغريق.

وقد ولد موسي فى مصر فى السنة التى كان الفرعون يقتل الذكور من بنى إسرائيل من مواليد ذلك العام، ثم أن آل فرعون التقطوا موسى فى تابوته العائم المار أمام بيت الفرعون. ولما كان الفرعون لا ينجب فقد عرضت زوجته أن يتخذا الطفل اللقيط ولدا بالتبنى، فكأنما موسى تربى فى القصر على أنه ابن الفرعون بالتبنى رغم شعور الفرعون المتشكك فى الطفل وشعور زوجته المرحبة بهذا الطفل، ورغم أن القرآن الكريم أخبرنا أن آل فرعون التقطوه لكى يصبح لهم عدوا ومصدر حزنهم، ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾ (القصص ٨) وهذا الخطأ خارج عن حسابات البشر تماما، فكأن التقاطه وتربيته فى بيت الفرعون كان خطأ فى قوم لا يعبدون الله فوصموا بالخطيئة والخطأ فى وقت واحد.

الوقفة الثانية هى أنه مادام موسى طفلا لقيطا ومولودا على أرض مصر فقد صار مصريا ويحتمل أنه كان عضوا فى الأسرة الحاكمة.

الوقفة الثالثة هى سلوك فرعون مع السحرة ومن الواضح أن فرعون كان هو القانون وأن انعدام القانون كان واضحاً فى مصر فى القضايا السياسية منذ قصة يوسف. فكان فرعون يملك العقيدة كما يملك أن ينزل العقاب بمن يخالفها ولكن ألوهية فرعون قد انهارت باعتراف السحرة بإله موسى وهارون أى سقوط الشرعية السياسية لنظام حكم الفرعون.

الوقفة الرابعة أن من خرج من مصر مع موسى كانوا من بنى إسرائيل فى مصر ولكن يبدو أن قهر فرعون وبطشه بالسحرة دفع بعض المصريين المؤمنين بإله موسى إلى التخفى تجنباً لمصير السحرة ويبدو أنهم أيضاً لم يخرجوا مع موسى وبذلك نفترض أن بنى إسرائيل هم الذين خرجوا معه وهم الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم وليس فيه أى إشارة إلى مصريين لحقوا بهم خاصة وأن نسبهم إلى بنى إسرائيل سابق على رسالة موسى وهى الرسالة اليهودية.

الوقفة الخامسة أن يوسف وموسى أنبياء الله وهو الذى اختارهم ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ (الأنعام ١٢٤). ويفترض انهما اكتسبا الجنسية المصرية ولذلك فإن رسالتهما لا تحسب لليهود أو بنى إسرائيل أو إسرائيل فيما بعد خاصة وأن الأوساط الصهيونية التى تضيف إنجازاتهما إليها وتمن على مصر بفضلهما لا محل له، كما أنه لا يمكن القول أن جنسيتهما المصرية ليس لها دلالة أكثر من تكريم الله لمصر بأنبيائه. فالعلاقة بين الأنبياء وربهم علاقة جذرية أما علاقة هؤلاء الأنبياء بالمكان الذى ينزلون فيه فهى علاقة عابرة لا يجوز أن تنسى القارئ العلاقة الأكبر وهى أنهم رسل الله.